

معركة علي وسن

للكاتب الفرنسي جوستاف جيفرو
بمقام الأستاذ محمد لطفي جمعة

المسجدية على ظهرها المنحني . فلما رأته ضحكت وقالت له : حذار أن تكون « البجعة » قد لحنتك . والبجعة صاحبة الدكان مدام كرنك دولاك السمينة الضخمة التي النقطةا وتبتتها وتمهدتها ووهبتها نصف ما تملك لتكون بائنة لها

عند الزواج . ولكن ليوني كانت تبغضها وتحشاها وتحقد عليها وتشكو قيود العفة والحذر التي فرضتها عليها لتصونها من أخطار الحياة .

فابتسم شارل وقال : كلا ! إنها مشغولة بحاسبة بعض عملائها وسمعتها تمنف السكتي كنزوا وتهمة بأنه التهم سبع فطائر ولا يدفع إلا ثمن أربع ، وقد جحظت عينها وهي تقول له : تأكل السحت في بطنك أيها العنكبوت الضئيل وترداد نحولاً

كلما أدخلت بطنك فطائري المحتلصة ! ألاني اتهمتتك وفتحت لك صناديق دكاني وتشاغلتنك بغزلي .. إن عين التاجر لا تنمض .

فضحكت ليوني وألقت بحسمها الناعم اللين بين يدي شارل هامسة :

— قبله الصباح يا حبيبي ، متى أغادر ذلك الجحر الحريب ، لأبقى لك طول حياتي .. فضمها الغنى إلى صدره بعنف الرغبة ، وقبلها في وجنتها وفهما وعينها ونحرها ، وكانت تتوجع من لذته وهيامها ، ويكاد يفرس أظافره في كتفها ، فلما أفاقت من

تعريف بالقصة

جوستاف جيفرو قصاص فرنسي قدير ، اشتهر بالقصة القصيرة والمسرحيات الموقفة وهو يدرس في هذه القصة خلق بعض الشيا والفتيات في مدينة من أمرق مدن فرنسا ، اشتهرت بالجمال وحب الاستمتاع في هدوء وغموض وهي ليون وقد كشف الغناع عن عفة الفتاة ولجور المرأة ، وشح التجار . وقد قيل عند نشرها إنها رمزية تحمل نفسية الألمان ذوى الجبروت وقوة الارادة ، فترام لا يترددون أبداً دون تحقيق أمانتهم مهما كلفهم ذلك من الفسوة على الآخرين وهي تنقل إلى العربية للمرة الأولى لثراء الرواية فمسي تحوز رضام

في شارع جارنت الذي يتفرع من شارع رامباردينه بحي پيراش بمدينة ليون الزاهرة ذات الشوارع الضيقة والجسور الفسيحة والكنائس الشاخنة ، حانوت صانع الأثاث إرمان موتون .

في صباح يوم الأربعاء السابق لعيد البنسكوت نادى المعلم موتون صبيه شارل شقارز وكان عاملاً ألمانيا من ستراسبورج : « أي شارل ! اذهب إلى دار مدام ديلوم ، فاتها ستعطيك

كرسيًا » لوى كاتورز » يحتاج إلى التنجيد وقد خبرتها أنى مرسلتك اليوم فامض على عجل » قضى شارل في شأنه وهو يصفر ، حتى إذا مر بدكان الحلوى المواجه لدار معلم موسيو موتون مال إليه وانفلت من الباب الصغير ، حيث كانت صديقته الصغيرة ليوني تصنع قطعاً من الشكولاته في وعاء معدني كبير ، وكانت ليوني غضة بضة مثل لطة القشدة ، وكانت عارية الذراعين والنحر والصدر إلى منبت النهدين ، لضرورة العمل ، وقد اثترت بمزرقصير لا يصل إلى منتصف الساق ، وقد انسدت ضفائرها

— لا أشق بطنك ، فليست في حاجة إلى تمكير
جو دكاني بما نأكل . اعزب عن عيني ! صباح الخير
أيها الشاب ، لا عليك ، فإني أشرح مع موسيو كنزلو
كما دقي لأدخل عليه السرور فيحسن هضم ما أكل ،
فأرتج على شارل الذي دار بعينه في الدكان كمن يبحث
عن شيء ، فقالت :

— أظنك تبحث عن ليوني . إنها خرجت منذ
الصباح اشترى مؤونة للشوكولاته التي نمندها لميد
البنتكوت . كيف حال معلمك ؟ إن لدى مقعداً
قديماً أريد تنجيده خير تنجيد وأثمنه فهو من تراث
المرحوم زوجي ، وهنا تبلات عيناها بالدموع ،
ف نظرت إلى كنزلو الكنتي الذي مازال واقفاً مسموراً
وقد قبده الحجل ، وقالت :

— بعد العصر ياموسيو كنزلو ، شرفنا لتأكل
ما يحلو لك من شطائر السابان المحشوة بالقشدة
ومُنْزَرة في روم جامايكا العتيق . فابتسم كنزلو وقال
— وعدا لحردين عليه ، إلى اللقاء يامدام دولاك

أوريفوار أيها الشاب ، ياله من مزاح !
وخرج كالغار السلوخ ، يتعامل على ساقيه
للنحيلين ، ويكشف عن صلعة حمراء كباطن القلي
المصنوعة من نحاس فيردان ، فضحك شارل ملء
شديقه والتفتت البجعة إليه ، وقالت :

— أدخل ، أدخل أيها الشاب . ودع عنك
مارأيت وسمعت بيني وبين هذا الحمار الذي يحمل
أسفاراً . وإياك أنت تنقل حرفاً بما سمعت
إلى ليوني أو غيرها ، لأنني أفكر في تزويجها من
ابن هذا الكنتي العتيق ، لأنهم أغنياء ، وأحب قبل
الزفاف أن أخضع حماها بالاذلال والإرهاب ، حتى
إذا تصاهرنا كان هذا الكنتي أطوع لي من كلبي

غشبة الحب للسريع المفاجيء ، ملأت فيه
بالشوكولاته المحشوة باللوز والبندق والجوز الدسم ،
وناولته علبة من الورق المقوى ملائى باللبس الفاخر
الذي يصنع خصيصاً لميد البنتكوت . وقالت له :
عليك أن تخرج في حذر ثم تدخل على البجعة بعد
لحظة اتنا كد أنها لم ترك . فدرس العلبة في جيبه
وانسل وسار قدماً وهو يصغر أنفاماً من أورا
لوهنجرن ، سمها والتفتها من غناء ريديز التينور (١)
الشهير . فلما دنا من عتبة الحلوانية انحنى وحيثاً
وكان كنزلو لا يزال مستسماً لطر الشتائم الذي
ينهال على رأسه من سماء مدام كرنك دولاك

— يا ذيل الخنوص ، يا جعبة الرباء ! يا جرد
الحوانيت ! مادمت لا أعلمك عن الفطائر السبع ، فلم
تسارع إلى ابتلاعها ؟ وكان وجه الكنتي مصفراً
كالكرم الصيني وهو يقول :

— مدام كرنك . أقسم لك بسانت فورفير !
أنها أربع فطائر فقط لم تزد . إنني بطيء المضغ .
اسأل الدكتور مويسيه طبيب عائلتي . شقي بطني
إن شئت ، ولكن كفي بحق المذراء عن تقريبي أمام
الجمهور .

فقال له : إن كنت تستحي حقاً من الجمهور
فلم تصنع في الخفاء مالا بليق بكرامتك في العلانية ؟
ألم تفد شيئاً من الكتب التي تسمم بها عقول القراء ؟
ألا إنها وبال عليك ما دامت تؤدي بك إلى تلك
الجماعة التي لا تجد لها سداً إلا من بضاعة أرمل بائسة
مثلي . فقال الكنتي مبتهلاً متوسلاً :

— شقي بطني !

فأجاب: سبي الحلواني، أعنى الحلوانية «البجعة»
مدام كرنك دولاك. وأخرج من جيبه علبة اللبس
قائلا:

— ولما كانت عادتُها أن تبتعث إلى خيرة عملائها
بصينات من اللبس الفاخر الذي تصنعه خصيصاً
لصيد البنتكوت. ومد يده بالعلبة فتناولتها الفتاة
وفتحها فقال: تذوق يا آنستي، تذوق فان نجاح
عملنا قائم على مبدأ «من ذاق عرف» وهو شعارنا.
«ذوق وقارني». فتناولت الفتاة بيناتها في رشاقة
فانتهت ملبسة ووضعها بين شفتيها المرجائيتين ثم افتر
نفرها عن ابتسامة زادتها في نظر الصبي حسناً على
حسنها

وقالت: هل تدفع لك ثمنك لهذه العلبة؟

فضحك قائلاً: هذه هدية وعينة...

فقات: شكراً لك وسأقتع عمتي بشراء الحلوى
من محلكم وهمت بمواربة الباب فاستدرك شارل قائلاً:
— عفواً. وأصرأ آخر نسيت

— وهو؟

— إنني أيضاً صبي المنجد موسيو أرمان موتون
أعنى أنني أزاول مهنتين بل ثلاثاً

فابتسمت الفتاة وقالت بين مصدقة ومكذبة:

— يالك من فتى ذى صناعات عدة!

— الحياة تقتضي الجهاد في سبيل العيش. إنني

منجد في الصباح، وحلواني بعد الغروب. فصدقته
الفتاة وأشفقت عليه وسألته:

— أريد شيئاً من متاع المنزل أم جئت بعينة
أخرى من الأثاث الجديد؟

فأجاب مداعباً: وهل في المنزل شيء هو أحلى
وأشهى من ذلك المتاع الذي أراه الآن مثلاً أمامي؟

(٢)

ليبين؟ وضحكت فبانت أسنانها المحطمة وقالت:

— أتملم أن موسيو كابوش عمدة المدينة،
أمر بتحرير محضر مخالفة ضدي لأنني أطلقت اسم
محافظ مقاطعة السين على هذا الكلب الأمين!
ولكن فطيرة ضخمة مشبعة بالزبدة ومحشوة بالكريز
أخذت أنفاس كوميسير البوليس كإيمان. ومحت
محضر المخالفة كما لو أنك أرسلت خطاباً لبريد الحلوى
والمداينة تفسد أحسن الدم. فضحك شارل من
حديث المرأة المزوج بالبلاهة وقال لها:

— أفهم جيداً أن «الفليك» يُباعون بأجنس
الأعنان.

— آه الفليك ^(١) يالهم من فحول ذباب!
لو كانت ليوني هنا كنت أذقتك طعم تلك الشوكولاته
الفاخرة. ولكن غداً لناظرها قريب... واللبس
الفاخر هدية البنتكوت. فابتسم شارل وهو يحس
طعم الشوكولاته في فمه، ويذكر قبلات الفتاة.

ومد يده إلى جيبه ليتأكد أن علبة اللبس
الفاخر لم تفادره، ولم تنفذ إليها عين تلك التاجرة
الماكرة. وقال: شكراً لك سلفاً وسأمر ببيتك
لأنقل ذلك المقعد العزيز، وأدار ظهره وهو يصفر،
حتى إذا بلغ دار السيدة ديلورم، فتحت له الباب
فتاة في الثامنة عشرة ولما أبصرت اللام الألماني
الأيّيف الجميل فتحت عينها وحدثت فيه دهشة
وعجبا، وعراء هو من الدهشة لحسنها ما عراها، فخدق
فيها وقد ذهل عما كان يجب عليه من نزع قلنسوته
تحية واحتراماً فوقف شاخص البصر إلى نضرة
جمالها ثم أفادت هي قبله فقالت له: من أنت؟

وإلا ناديت عمتي وإنها لشديدة على أمثالك المستهترين
فأسرع شارل المبهوط في سلم الباب وقال :
— أرجو أن تكون عمك بخير أيضاً

فلما بلغ أسفل الدرج قال :

— وإني لا أعلم كيف احتفظت بملبة اللبس
ورفضت ملاطفتي . ولكنه لم يسمع سوى سقفة
الباب وراءه

وسار قدماً وهو يُصقّر ، إلى أن بلغ المنزل
رقم ٥ شارع بواساك حيث كانت مدام جاكيه
ممشوقته تنتظره ، ففتحت له الباب هاشة باشة فقد
كان الفتى حبيب قلبها في غيبة زوجها الضخم في
معمل الساعات في مونشا إحدى قرى النهر التي
شيدت فيها مصانع الآلات الدقيقة ، وكانت المرأة
آمنة عودة الزوج طول النهار . ففلقت الأبواب
وأزالت الكرسي عن كاهل ممشوقها ، وكانت امرأة
قصيرة القامة ذات محاسن وفتنة تدفع إلى العصب
ثمن غرامه السري كل ما تدخره نفقة البيت
وما تسرقه من كيس زوجها أثناء غطيته

ولم تكن تصبر عن لقاء شارل يوماً واحداً
فكان يلهب عاطفته بين أحضان ليوني ، ليطفي
ناره عند جاكيه القصيرة البادرة . ومرعان ما خلعت
عنه ثيابه وألبسته ثياب التفضل من صوان زوجها
ومدت له مائدة رداحاً زاخرة بالدجاج المشوى
— يوليه دوريه دي بريش — ^(١) وسلك الرن
القليل ، ولحم عجل حنيذ محمر ، وحمص أخضر بالزبد
والسكر وصربي الشمس التي كانت تجيد صنعها —

(١) نوع من الدجاج الغنم يقن أهل ليون تربيته وطهيته

فصربت الفتاة بقدمها غضباً واغتيظاً من
جرأة الفتى وقته ، واهجر وجهها قليلاً ، فأدرك شارل
أنها من الصنف الذي يكره المداعبة وتذكر أحضان
حبيبته المواتية ليوني الذي ألهمت وجهه منذ هنية
بحر أنفاسها ، فحاج صورة الحب السريع من ذهنه
وزاده غيظ الفتاة المائلة أمامه تعادياً في مداعبتها فقال :
— إذا كان في متاعك خلل أو فساد تريدني
إصلاحه فاعلم أن متاع الفتيات ليس مما نعى
بإصلاحه ، فاطلبي لتناعك مصلحاً آخر ، وإنما جئت
ههنا بأمر معلمى الحلواني . وسلمت إليك هديته ،
ثم بأمر معلمى المنجد الموسيو أرمان موتون لأجل
إليه من مدام ديلورم كرسياً كانت خبرته أنها في
حاجة إلى تنجيده ، فأين هو ؟

فنصبت الفتاة رأسها في أنفة وكبرياء وفتحت
له الباب وسعت به إلى قاعة الاستقبال ثم أومات
إلى كرمي فيه خرق دون أن تنبس ببنت شفة ،
ففحص شارل الكرسي بدقة ، ثم حمله على عاتقه
وسار إلى الباب ، حتى إذا بلغه النفت وراءه ونظر
إلى الفتاة وقال :

— خيراً ؟

فقالت بكبرياء : ما ذا تريد ؟

فأجابها شارل بابتسامة معنوية أجابته عليها
بإحمرار وجنتيها ثم قال :

— إني بخير والحمد لله وأرجو أن تكوني بخير
أيضاً . فضحكت الفتاة ضحكة فجائية عالية وقالت :

— إنك أظرف حلواني وأعبط من رأيت من
المنجدين في حياتي . أولى لك أن تذهب في الحال

بيت عشيقته يحمل الكرسي وعاد إلى الدكان فلم يجد معلمه الذي ذهب إلى أهله يتمطي بعد طول انتظار الصبي ، فوضع شارل الكرسي في غرفة الأمتعة المختلة واستأنف عمله في صرح وهو يصغر كمادته . فرت بذهنه صور شتى مما شغل خياله منذ الصباح ؛ فها هي ذى ليونى تقبله وتنفضه بالمهدايا ثم البجعة ، والكتبي الشير ، ثم الفتاة التي تهددته بصمتها . . ثم المرأة الناضجة التي أطعمته ومتمته وأعدت له الكسوة والزهوة على حساب بعلها وبغالها .

ولكن محاسن الفتاة الثانية جمعت تترامى لعين خياله ، وكان وجهها فتاناً يحمل دلائل الدلال والنبه وآيات الزهو والكبرياء ، وقد لد الفتى أثناء هذه التخيلات ما كان يبدو على ذلك الوجه من العبوس عند سماع أماربجه التي كانت تمدّها الفتاة ضرباً من الاجترار على مقامها السامى من صبي حلوانى أو صبي منجد حقير مثله كما وهمت وفهمت . فأكمل إصلاح ما بيده في ظرف ساعة ومضى إلى المخزن لاختيار القطعة التالية . وكان ثمت عدة أمتعة قد لهج أصحابها وألحوا في سرعة إصلاحها ، ولكن شارل ضرب عن جميعها صفحاً وأخذ الكرسي المخروق فحمله إلى مائدة شغل . ولم يكن في نيته أن يبدأ بإصلاحه ولكنه نلذذ بمجرد النظر إليه من أجل الحسناء ذات الوجه المليح العابس . وبينما هو يتأمل الخرق الذي به ويضنط على لوالبه ، أخذت عينه ورقة صغيرة كانت قد سقطت في الثقب الذي في ظهر الكرسي فتناولها فاذا بها حوالة مالية بمشرة آلاف فرنك تصرف لحاملها ، فأخذها

واعتذرت له عن بمض الفطير المحشو بلحم الخنزير وشحمه . فأكل الفتى أكلة الشره وشرب من نبيذ جراف الذهبي حتى روى وشبع واستمد للقيولة فسألته — أين كنت يا روحى ؟

أجاب — فى العمل ، العمل الشاق المضى

قالت — هل كنت تفكر فى ؟

قال — طبعا ؛ وفى من سواك أفكر ؟

قالت — أنت معبودى ، وجبك العنيف غذاء

حياتى — أين نقضى أجازة البنتكوت ؟

قال — هنا فى ليون ، ما لم تجسّ أسرى

شوقاً إلى !

قالت — لقد أعددت لك مفاجأة سارة فخصات

على إذن من البغل زوجى ، لأزور أهلى فى هوت

سافوا ، وفى الحق أعددت تذكريّن لنذهب معاً إلى

قرية « إيل يارب » فتمرح أياماً ونتم بالحب . وقد

ادخرت مائة فرنك تنفقها معاً فى فسحتنا المرتقبة

قال : كيف أسافر وأنا لا أملك غير هذه

التياب الرثة ووالدى لا يرسل إلى مالاّ ظنا منه أن

ارمان موتون يصدق على النسم ويدفع لى من ثروة

قارون . فاطرقت جاكبيه الولهانة ثم قالت :

— لقد فكرت فى ذلك أيضاً ، فأعددت لك

بدلة كاملة من صنع لايل جاردبنير ، أخذتها على

حساب زوجى وأصلحتها على قياسك عند طرازى

بجهلى فى شارع جامبتا ، فلا يشك فى غايى من

تقصير ساقى سراويلاتها ، وتوسيع أكمائها ، فانك

أعرض صدراً من الرجل وأصرفامة .

وبعد الظهر بثلاث ساعات خرج شارل من

هادئاً وأعاد تلاوتها وهو لا يصدق نظره ثم وضعها في جيبه ثم بدا له غلاف رسالة معنونة بالعنوان الآتي « المناجم الزئبقية جولد نبرج وشركاؤه — المدير جورج دي ساكس » فدهسها في الأخرى في جيبه وآمن بأن الدهر ينتسم له حتى في الغربة . وفي تلك اللحظة عاد موسيو أرمان موتون متجهماً ؛ فلما رآه انفجرت به بأقذع السباب على تلاعبه بوقته وتركه في انتظاره بدون غداء إلى ما بعد الظهر بساعتين في سبيل حمل كرسي مخروق . فوقف شارل باسماً وقال له :

— على رسلك يا معلمى . إن قبلت عذرى فجباً وكرامة ، وإلا فوفر لى بقية أجرى ومرحني بإحسان أحمداك حسن المشرة . نجت نار غضب المنجد وقال : أتركني يا شارل وقد علمتكم خير ما في الصنعة ؟ قال : إني منصرف ؛ فإن حياة المنجدين لا تروقى . قال : لا عليك ، فمذرة . قال شارل : سأنصرف ساعة حتى يصفو دي بعد كدره ، السلام عليك . وخرج لا يلوى على شيء حتى بلغ بيت جاكبيه وكانت لا تزال كلبلة من أثر عناقه ، حاملة بما كان بينها وبينه من حلو الترام ففتحت له وقالت :

— إني قديسة ! فقد اشتبهتكم تشاربني الشاى وتقاسمتى تلك الكعكة المحشوة بالزبيب والفسق . فذل على إرادتها وزج الأقداح بالتقبيل والمداعبة ، حتى استلانت له فهض ينظر في المرأة ثم قال لها : إني مسافر إلى قريتي حتما . ففجعت المرأة وذهلت . فقال : لقد بلغت حالى من الرقاة ما يجعل كل من يرانى يحتقرنى فلا بدلى من ثياب قشبية وساعة وسلسلة وأزرار ودبابيس من فضة

وذهب . فضحكت المرأة وقالت : انتظر ! ثم عادت فرحة بالثياب الجديدة وحملت من صندوق زوجها وهو ساعاى وصائع كل ما طلب ، وألحت عليه أن يلبس اللؤلؤ ويتجلى بما تافت إليه نفسه من متاع زوجها ممثلة نفسها بنسيانها ما أودع من مصوغ . فتأبى شارل هنيهة ثم فعل فبدا كأبناء السراة ذوى العز والنمة وسارع إلى تركها وأعداً إياها بالعود غداة غد كمادته . وفي سرعة البرق بلغ مقر « موسيقيه جنرال » وهو مصرف قوى لرجال الأعمال ، فرحبوا به ، وأبرز لهم الحوالة ، فصرفوا له قيمتها ، وعرضوا عليه أن يحتفظوا بها لحسابه لقاء دفتر سكوك يجعل المال رهين إشارته وتوقيعه ، فقبل بعد أن قبض مئة فرنك وهي تعدل مرتبه عند المنجد شهرين وعاد إلى بيته نخلع الرداء الجديد ولبس ثياب العمل وقصد إلى مقهى تونون ليشرب فنجاناً من القهوة . وأخرج الرسالة التي وجدها مع الحوالة في خرق الكرسي فاذا فيها

عزيزتى روزموند

ليت شمعى كيف أثر في حسنك هذا الأثر البالغ ! ماذا أحدثت ألحاظك في حشاى من الجراح والأوصاب ؟ وما الذى قالت عيناك لقلبي فأجاب ؟ هل نلتقى في يوم الأربعاء المقبل بمد ظهري ، في عين السكان والأوان اللذين تلاقينا فيهما آنفاً قائم بمحدثك المذنب ؟

المخلص

ميرج

فقط شارل جيبينه ووضع الرسالة في جيبه . ولما عاد إلى الدكان استمر مقطعاً ونسى صفيده ،

دار عمتي ؟ فنظر شارل تلقاء المعلم فوجده مكباً على شيء يصلحه غافلاً عنهما فقال : اننى منذ حملته على كاهلى لم أره ولم ألمسه فتفضل بأخذه ان شئت أو فحسه إن أردت . ثم عاد إلى عمله . فقالت بكبرياء وعظمة : انه خطاب لا أكثر ولا أقل فأعطنيه . فقال : انتظري لحظة ، ودخل إلى غرفة الحزن وعاد يحمل الكرسي بعد أن دس الخطاب في الخرق أعمق ما يكون ، ووضع يده فأخرج الغلاف واستبقاه في يده فقالت : اعطنى الرسالة . ففهرز رأسه نقياً وإباء فقالت : إذا أبيت تسليم هذا الخطاب شكوتك إلى مدام ديورم عمتي .

فقال شارل بثبات ورزاق : وإذا سلمته اليك فسأبلغ الأمر إلى مسامع عمتهك مدام ديورم . ولم يكذب قوله هذا حتى راعه وآله ما أبصر من شدة اصفرار الفتاة وامتناع لونها . فالتفت إلى مسيو موتون معلمه وقال :

— إن السيدة الصغيرة تريد أن أرافقها إلى دارها لتطلعنى على شيء من أمانيه وسأعود بعد برهة قصيرة . ففهرز المعلم رأسه موافقة دون أن يرفعه عن عمله .

وغادر شارل الدكان تتبعه الفتاة مستكينة متواضعة ، فلما بلغ زقاق جوادى قبضروا كانت الشمس قد آذنت بالغروب وقف وواجه الفتاة وكان يشرف عليها بمقدار قدم لطول قامته . وقال لها : اياك أن تحاولي انتزاع الرسالة من يدي لئلا تحدث فضيحة شنعاء أمام المارة ، وتدلى بذلك على سوء نيتك فتذهبي بالبقية الباقية من احترامى وعطاني عليك . فأومأت برأسها علامة الرضى وهى تكاد تنفجر غيظاً من تحكمه ، ففتحت الرسالة وقرأها بصوت عال كمن

ولحن لو هنجرن الذى كان يكرره ، فلفيه المعلم موتون بالترحاب وقال له :

— ما رضىك يا شارل فأنا كفيلاً بتنفاذه . أجب « أن تزيد راتبى إلى مائة وخمسين فرنكاً في الشهر ، وأن تدفع لى مقدماً مراتب شهرين لأصلح من شأنى ، وأن تمنحني أجازة ثلاثة أيام أقضيها في تريض خاطري » وهو يعلم أنها شروط قاسية لن يرضخ لها المعلم لبخله وشدة حرصه ، ولكنه جعلها مباحكة ليصرفه مستغنياً عن خدمته . فتشهد موتون وقال : إنها لأقسى من شروط سيدان التى أملاها بيسمارك على وطننا . . . ولكننى أقبلها . ثم دفع له ما طلب لأنه كان ينتوى أن يزوجه من ابنته لورا ويترك له المتجر والمصنع ، لينعم آخر حياته بالراحة والغنى واستمرار اسمه معلقاً بأعلى الدكان حرصاً على شهرته وعملائه . ولكنه يضم ذلك ولا يوح به ، لئلا يفسد أخلاق عامله الذى يجمل منشأه .

فعاد شارل إلى عمله في كرسي آخر وترك المقعد المخروق ينسى من خرمه ، ودس فيه وثيقة المالى ووثيقة الهوى بعد أن نال حظه منهما وسهلاً له بداية المركة ليفوز بمروسته .

وبعد لحظة ظهرت الفتاة الحسناء المبوس في عتبة الدكان ، فقال له المعلم :

— شارل ! هذه ابنة شقيق مدام ديورم تريد أن تكلمك كلمة . فاحتفظ شارل بثباته ، وهو للفاجر الائق من نفسه الخبير بأخلاق النساء . وكانت الفتاة صر تبهكة مضطربة يذهب لونها ويجيء فقالت للفتى :

— أظنك قد . . . أريد أن أقول لك هل عثرت على شيء في الكرسي الذى أخذته اليوم من

فقلت له وهي تحرق الأرم: إنك لفظ غليظ القلب.
 أعطاني الرسالة من فضلك. إنها ملكي لا ملكك.
 — فقال شارل سفارز: إني أستملحك
 وأستظرفك وإني معجب بمحاسنك، وسيأتي يوم
 تعلمين فيه حقيقة مقصدي، وهو إيصال النفع إليك
 ورد الأذى عنك؛ فإذا خشيت عمثك إلى هذا الحد
 فاني أعذك ألا أوصل الرسالة إليها أبداً ولكني
 أذهب معك إلى أقرب أقسام الشرطة، وهناك
 أسلم الرسالة. فنصبت الفتاة قامتها وقذفت الفتى
 الألماني بنظرة حشدة فيها كل ما تستطيعه طبيعتها
 من البغضاء والكراهية وانطلقت في سبيلها دون
 أن تفوه بكلمة أخرى. فراقبها وحك رأسه، ولكنه
 لم يلبث أن سرت إلي وجهه دلائل العزم والاصرار
 الذي قد ورثه أهل جرمانيا قاطبة عن أجدادهم القدماء،
 فضى تواء إلى الانفصالية الألمانية بشارع كي دي برتو
 وقال إنه يريد لقاء القنصل للتو واللحظة، فلبث
 أن خرج إليه القنصل من مكتبه الخاص فدنا
 منه شارل وأمر إليه كلمة في أذنه، فأجابه القنصل:
 كلا! فأخرج شارل من جيبه رسالة وأعطاه للقنصل
 فقرأها الثاني بروية وأعادها إلى شارل وقال
 «لابأس!»

عند ذلك ذهب شارل إلى مكتب شركة المناجم
 الرئيقية. جورج دي ساكس وشركاؤه، فقال صبي
 المكتب لشارل: السيد جورج دي ساكس ليس
 ههنا، ولملك واجده في قهوة ريش في الشارع
 المجاور. فضى شارل إلى القهوة وعقد محبة مع
 النادل فأنحفه بكأس من الراح والطفه بلقيفة من تبغ
 الزاس وأقبل عليه بمحاذنه في حالة الطقس وأخطار
 الحرب المرتقبة وأسعار الحرير وحوادث الطقس

يقع نظره عليها لأول وهلة. ثم قال مستفهما:
 — اسم حضرتك روزموند؟ فقلت منفضبة
 ليس هذا من شأنك. فقال مبتسما: إذا كنت تأيين
 أن يجيبي عن سؤال هذا فسأعرف الجواب من
 حضرة عمثك. فقلت: اسمي روزموند. فرنا إليها
 بنظرات لينة رقيقة ملؤها الحب والطرب وقد أذهله
 ما هو فيه من اللذة عن مشاهدة ما صيغ وجهها إذ
 ذاك من حمرة الغيظ والوجل. ثم قال:

— إذن اعلمي لي روزموند أنني لست بمعطيك
 هذه الرسالة. كلا! لا تعبسي ولا تقطبي جيبينك
 ولا تظني أنني من قبيل ذلك الفتى جورج صاحب
 الرسالة. ومهما يكن جورج هذا فانه وغد خسيس
 وكذاب أشرم وما خطابه إلا إفك وبهتان. سأبحث
 عنه فأنظر بنفسى أى امرئ هو، هل يصلح أن يكون
 زوجاً لثلك. لا تؤاخذيني في فضولي وتطفلي على
 أسرارك فاني مدفوع بأقوى عوامل النفس إلى
 الاهتمام بشأنك؛ فإذا وجدته كذوأك لك — ولا
 إخاله — فسأعتذر له عن سوء ظني ثم أحضر حفلة
 زفافك بثياب قشبية وهدية من الحلواني. ولكن
 هاتفاً يهتف بي من أعماق نفسى انه وغد خسيس
 ونذل جبان وأحمق غبي. كذلك شعورى وهو
 شعور صادق قد ورثته عن أمي. فدعيني وتنفيذ
 خطتي وإمضاء عزمي فالك إن حاولت مني
 فسأذهب تواء لعمثك وأقدم لها الرسالة قائلاً إني
 عثرت عليها في الكرمي. فلم يكن من الفتاة إلا
 أنها شرعت تبكي وتنتحب وتمزق منديلها بثناياها
 الجميلة من شدة الغهر والغيظ والمجز عن الانتقام
 فقال لها: لا تؤذى عينيك الجميلتين بالبكاء فوحق
 العذراء ما قصدت إلى إيلاكم وإيذاء عواطفك

دعوته والنس منه ساعة لتبديل ثيابه وتواعدا على اللقاء في نفس القهوة التي اجتمعا بها . وعاد شارل متطرباً مجلّواً متحلياً طروباً وبانت عليه نممة مشوقته مدام جاكيه وبقلها وهو بملها . فانتقلا إلى المطعم في سيارة جورج ، وقبل فراغهما من الطعام خبره دي ساكس أنه مستعد أن يقدم إليه كل ماله من الرقيق بأسعاره الأصلية وأردف قوله « أي هيرشارل ! إنك أحب إلي من أن أربح من ورائك أدنى شيء وبودي ألا أفارقك أبداً . فهل لك في الركوب معي الليلة للنزهة فاني أعرف فتاتين لأنا بيان أن تصحبانا فنقضي معهما برهة من الزمن . فذهبا للنزهة مع الغادتين وكاتنا مليحتين ، ثم اقترح شارل أثناء النزهة الذهاب إلى دار الصور المتحركة ولكن دي ساكس هز رأسه نفياً وهمس في أذن شارل عند أول فرصة قائلا :

— لا تقترح أدنى شيء من هذا القبيل فاني أعرف فتاتين أخريين أفضل أن نأخذها إلى دار السينما ، لأنهما أليق بذلك المكان وأبهر للعيون في الضوء وأمتع لنا في حلقة الظلام . وكذلك ذهبا إلى دار السينما ووفي دي ساكس بوعدته فاستحضر الفتاتين . وتغيب شارل عن دكان عمله المنجد ثلاثة أيام قضاها مع صديقه الثمار رئيس شركة الرقيق . وفي كل ساعة يقدم له هذا الصديق فتاة جديدة ، وكل ساعة يزداد شغفاً بشارل الذي نسي ليونى وجاكيه وازداد تعلقاً بروزموند . وقد سهل على شارل أن يستكشف السر في مبل الفتات إلى صديقه ، وذلك أن جورج دي ساكس كان طلقاً متهللاً لانفارق شغفيه ابتسامة البشر ولا ينطق في أسارى وجهه نور البشاشة مع كثرة اللق والتلويح

ثم شرع يستفهم منه عن أسماء اللاعبين بالورق ، وكانوا جالسين بناحية من المكان فكان ممن سماهم النادل جورج دي ساكس ، فاذا به كما كان قد صورده كارل في مخيلته تماماً — صغير نحيف حسن الهيئة ولكنه ضئيف البنية أصفر الوجه . وقال النادل : إن موسيو جورج هذا على ضعفه ونحوه وصفرته زير نساء عريق وله على الفتيات سلطان عظيم ، فهن يتراحن عليه ويتهافن . إنه غنى .. وخداع . وانتظر شارل حتى فرغ جورج من اللعب والخسارة لأنه سيء الحظ في الورق ، حسن البخت في النساء ^(١) — ثم استدعاه ووقف به ناحية وقال له :

جئت من ستراسبورج وما زلت أبحث عن صنف جيد من الرقيق الأندلسي ، أرسله هنالك ، وإني أعلم أن ليس من اللائق أن أبقتك بطليبي هذا في مثل هذا المكان ولكني لا آتي هنا كل يوم وقد.. فقال جورج ببشاشة التاجر وحفاوة الثرى المستريد : عفواً ياسيدي ، أنا في خدمة عملائي في كل آن ومكان ، تفضل بالجلوس ، ماذا تشرب ؟ لا بد أن تكون أنبذة كروم الراين قد أوحشتك ، إنني أشربها بلدة . ثم تناقشا ملياً في الرقيق وأسعاره ونفقات شحنته ونسبة « الممولة » ، وقال شارل إنه سينظر في الأمر ثم يخبره بالنتيجة فيما بعد . وقد أساء شارل وآذاه وآله أنه بدأ يشمر بشيء من الميل إلى جورج والاستئناس به واستظرافه ، وأن جورج بدأ كذلك يظهر مثل هذه الماطفة نحوه وقال جورج دي ساكس : — حبذا لو تعشينا الليلة معاً ، إنني لأعرف مطعماً شهيراً بمجودة دجاجه وحسن نبيذه . فقبل شارل

وردت على مدام ديبلورم عمة الفتاة روزموند رسالة فجأت تطلبها في يديها مراراً عدة ثم قالت : لا أفهم ماذا في هذه الرسالة فإن أسرة برادنبور تدعونا إلى الغداء بمسما نسوناً زمناً طويلاً ، وقد دعوا أيضاً القنصل الألماني وجميع أصحابهم القدم . في أي حلة تذهبن إلى المائدة ياروزموند ؟

قالت مدام برادنبور : ما أشد فرحتي بك ياروزموند ! لم تكوني آخر عهدي بك إلا طفلة ضئيلة . هاك قنصل ألمانيا ياروزموند يذوب شوقاً لرؤيتك ، وهاك موسيو شارل شفارز . فهمس شارل في أذن الفتاة قائلاً :

— سأرد إليك الرسالة متى شئت . فطت الفتاة شفتيها تلك المطة الحلوة المهدودة وعبست تلك العبسة المستملحة وقال شارل : إن الرسالة ليست معي الآن ولكن معي رسالة أخرى من الذي كتب لك الأولى فبدأ الغضب على وجه الفتاة . وقالت :

— لا أدري لماذا أنت هنا الآن ؟ ولا يهمني تهديد سبي حلواني أو سبي منجد وضيع . ولكن إذا كنت محسب أن من الشرف والمروءة أن تتدخل في شؤوني وتقاتل رجلاً من الناس لتقلبه فترغمه على أن يكتب إلي رسالة سفه وخسة ودناءة فاسمح لي أن أخبرك أنك رجل شاذ غريب الأطوار . فقال شارل :

— أقاتل رجلاً ؟ أتريدن موسيو جورج دي ساكس ؟ عجيباً لك ! إنني أعشق الرجل . وهنا تدخل القنصل فجأة فصاح إلى عمة روزموند :

— أي مدام ديبلورم ! ما رأيك في هذا الفتى (يريد شارل) إن أباه من أغنى تجار الأخشاب في

والاطراء ، وكانت له حيلة إلى أقتاع كل واحدة أنها خليلته وممشوقته دون غيرها . فقال صرّة لشارل : إنني لا أدخل من النساء ساعة ، وإنني لأجدي مدفوعاً إلى منازلهن اندفاعي إلى الأكل والشرب ، لا أستطيع الامتناع عن الأولى إلا إذا أطقمت الامتناع عن الثانية .

فقال شارل : ولكن ماذا تصنع إذا تزوجت وفر قرارك ؟ خدق جورج في وجه شارل قائلاً : أتزوج ؟ إنني متزوج ، ألم تعلم بذلك ؟ لقد مضت زوجتي إلى قرية مونييان لزور أمها وسأقدمك إليها عند عودتها . وإن لها زمرة من الأتراب الحسان والمصاحب الفواني كأنهن الربرب أو سرب المها لايزان يحمن حول دارنا يرفرفن علينا . فقهمه شارل ضاحكاً ثم أمعنا في الشراب فقدم إلى دي ساكس الرسالة التي كان وجدها في الكرسي فقرأها جورج وشرع يمسح جبينه بيده كالذي يحاول أن يتذكر شيئاً قد نسيه ثم قال :

لقد نسيت اسمها واقبها . خبرني كيف حصلت على هذه الرسالة ؟ فأدرك شارل قلة اهتمامه بشأن روزموند وذهوله ألبنة عن كل ماحدث بينه وبينها . وسأله جورج « ولكن كيف وجدت الرسالة ؟ قال شارل : سأخبرك في وقت آخر ، ولكني أطلب إليك الآن أن تكتب لها رسالة أخرى وتمطيني إياها لأوصاها إليها فأرجع رهانا عقدته في مسألة مسلية ، أتوافق على ذلك ؟ فقال جورج وهو يترنح : ولم لا يا صديقي ؟ وسيان عندي أن أقول لها إنها أحب الناس إلي أو أقول لها بعمداً لك وعليك المفاء . هلم أمل على مانشاء أيها الألماني الطريف .

أنه سبب سعادتي وعلّة وجودهم. فضحكت روزموند وقالت: وسأحتفظ أنا كذلك بملبة من اللبس الذي يصنع لميد بنتكوت

ودعا شارل إلى حفلة زفافه « البجعة » وليوني والمنجد وجاكويه والكتبي كنزولو وجورج دي ساكس وقدم لكل منهم هدية لائقة، ولما كان ألمانيا فاجراً قادراً على القهر والحيلة فقد أَرْضَى كلاً من مدعويه بهمسة في أذنه فقنموا من مودته بوعوده ، ما عدا الحبة المغنونة جاكويه البادنة الشقراء التي وثقت أن زفافه سيحرمها غرامه . فهمس في أذنها :

— لا تنسى أننا سنقضي معاً أجازة البنتكوت

محمد لطفي جمعة

الغابة السوداء وأشهرهم في بلاد الراين وقد أراد أن يصقل ابنه ويملئه فن التنجيد لضرورة تجارته ، ولكن شارل أنف أن يزاول هذه المهنة في وطنه ، ولذا قدم إلى هذا البلد فأخفى نفسه في دكانة منجد صنّاع ، ولكنها مستورة عن الأنظار حيث يأمن ألا يمتد عليه أحد . وبينما هو كذلك إذا به قد خرج بغتة من حجره فاقبض على وسائلي المونة في مسألة غرامية اعتماداً على ما بيني وبين أبيه من الصداقة والمودة فخبّرني يا مدام ديلورم رأيتك في الفتى وفيما يرى إليه وبطمح

فبدت على مدام ديلورم دلائل الحيرة والارتباك ، ولكن مسيو براد نور رب البيت وصاحب الأدبة شاهد ماظهر إذذاك على وجه روزموند من شواهد السرور والفرح في اجرداد وجنتيها ووميض عينها وبريق تفرها فأخرج مفتاحاً من جيبه وأعطاه لخازن الراح وقال له :

— هات لنا أجود ما لديك من السلاف نشربه

في نخب المروسين

فالت مدام ديلورم بشارل جانباً وقالت : أصارحك بأن بائنة روزموند وهي حوالة بهشرة آلاف فرنك قد فقدت مني — وببال الدمع عينها — وكانت كل ما تركه شقبي لكريمته فما حيلتي ؟

فأخرج شارل من جيبه حوالة باسم روزموند على مصرف سوسيتيه جنرال بأن يوفروا لها باسمها مبالغ ثلاثين ألف فرنك نقداً فقالت المعجوز :

— سيدي ! فقال لها: لقد وجدت البائنة في خرق الكرمي المبارك الذي لا يزال عند معلمي أرمان موتون وقد آليت على نفسي ألا يصلحه أحد سواي وسأحتفظ به حتى يراه أولادنا فيملوا

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والابطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
- ٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيلتان)
- ١٨ نباتات الزينة المشبية (محلي باحدى وتسعين صورة فنية)
- ١٥ Les Plantes Herbacées (محلي بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات المشهورة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا